بين جنوب لبنان وشمال فلسطين المحتلة

واقعان مختلفان عند جانبي الحدود في خضمّ وقف إطلاق النار

ينشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي تقريرًا يسلّط الضوء على الوضعين المتباينين عند طرفي الحدود بين جنوب لبنان وشمال فلسطين المحتلة بعد وقف إطلاق النار، حيث عاد اللبنانيّون منذ اللحظات الأولى إلى قراهم في مشهد يعكس انتصار مقاومتهم في تلك المعركة الضروس، فيما لا يجرؤ المستوطنون على العودة إلى المستوطنات الشمالية بسبب خوفهم وعدم اطمئنانهم، مما يدلّ على تخبّط الكيان وفشل حساباته.

عندما أرسلت الشمس خيوط الفجر فوق تلال جنوب لبنان، انطلقت قوافل السيارات، وأطلقت أبواقها لتعزف سيمفونية العودة إلى الديار. توجّهت العائلات اللبنانية نحو قراها فور بدء وقف إطلاق النار عند الساعة الرابعة صباحًا بتوقيت بيروت، بعد أن كانت قد نزحت لمدة طويلة بسبب عدوان الكيان الصهيوني. كانت النوافذ مفتوحة، والأيادي تلوّح بالأعلام الصفراء لحزب الله، مما يدّل على الاطمئنان والخلاص.

في أحد المشاهد المؤثرة التي تم تداولها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، صعد رجلٌ في جنوب لبنان على أحد الأعمدة ليزيل العلم الصهيوني الذي كان مرفوعًا عليه. وكانت الصرخة المشتركة للناس العائدين إلى جنوب لبنان: «هذا بيتنا».

بينما كانت الأجواء تعجّ بالفرح والاحتفال، قال رجل دينٍ يحمل علم حزب الله في يده، وكانت عيناه تعكسان مزيجًا من البهجة والعزيمة: «لن تسقط هذه الراية من أيدينا؛ هذه الراية لم تسقط على الأرض أبدًا، ولن تسقط في المستقبل. ظلّت هذه الراية مرفوعةً دائمًا، بفضل دماء الشهداء، بفضل الجرحى والمصابين، بفضل الأسرى، بفضل كل الناس».

لكن في الجهة المقابلة من الحدود، في شمال الأراضي المحتلة، كان الوضع مختلفًا تمامًا. المستوطنات الصهيونية مازالت خالية من السكان. على الرغم من وقف إطلاق النار، لم يعد المستوطنون إلى منازلهم القريبة من الحدود. أشار غابي نعمان، رئيس بلدية مستوطنة "شلومي" الشمالية، إلى هذا التباين الواضح قائلًا: «سكاننا ما زالوا بعيدين عن منطقة الحدود حاليًا». ظلّ الخوف وانعدام الاطمئنان قائمين، خوفٌ زرعته مقاومة حزب الله في نفوسهم. تناولت وسائل الإعلام التابعة للكيان الصهيوني صور اللبنانيين العائدين إلى منازلهم، متحدثةً عن مشاعر الإحباط والذهول. أشارت إحدى الوسائل الإعلامية إلى غضب الصهاينة بعد رؤية مشاهد عودة اللبنانيين إلى قراهم ومنازلهم، في وقت لا يزال فيه سكان المناطق الشمالية للأراضي المحتلة غير قادرين على العودة. طرح الصهاينة سؤالًا مقلقًا في وسائل التواصل الاجتماعي: «إذا كنا قد وجّهنا لهم ضربة قاصمة، فلماذا يعودون بينما لا نعود نحن؟».

تطرح هذه الأسئلة تباينات مهمة حول اتفاق وقف إطلاق النار الأخير. لماذا قَبِل الكيان الصهيوني، رغم ادعائه التفوق العسكري، شروطًا تبدو كأنها تترك مستوطنيه في الشمال في حالة من الضياع؟

يعتقد دينيس روس، المحلل البارز في معهد واشنطن والعضو السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي، أنّ وقف إطلاق النار في لبنان هو نتيجة رغبة الكيان الصهيوني في تجنّب الوقوع في المستنقع اللبناني.

هذا يعني أنّ الصراع الطويل كان يهدّد الكيان الصهيوني بالتحول إلى مأزقٍ غير قابل للحسم والانتصار، مع تكاليف عالية، ومن دون استراتيجية واضحة للخروج.

لفهم هذا الأمر، يجب أن ندرس التطورات الميدانية. عندما قَبِل بنيامين نتنياهو، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، وقْفَ إطلاق النار، ادّعى أنه قد «أعاد حزب الله إلى الوراء لعقود من الزمن»، وأنّ قوّة هذا التنظيم «لم تعد كما كانت من قبل»، إلّا أن الواقع الميداني كان مختلفًا. أظهرت قدرات حزب الله الصاروخية أنه قادر، متى أراد، على ضرب عمق الأراضي المحتلة بدقّة، الأمر الذي وضع حسابات الكيان أمام تحدٍّ كبير.

عرض المسؤولون العسكريّون في الكيان الصهيوني تقييمات صريحة. ووفق التقارير، أذعنَ تمير هيمن، رئيس جهاز الاستخبارات العسكريّة في الكيان الصهيوني، بأنّ الجيش قد فشل في تحقيق كلّ أهدافه في المواجهة الأخيرة. كما أكّد على مقاومة مقاتلي حزب الله، وقدرتهم على التكيّف مع الظروف القاسية، وتابع قائلًا: «لقد أثبت مقاتلو حزب الله شجاعتهم خلال معركتهم ضدّ الجيش الصهيوني، وأنّ المعادلات لا تُحدّد إلّا في ساحة المعركة».

كان التأثير الاقتصادي داخل الأراضي المحتلّة ملحوظًا. فقد واجهت الأعمال التجاريّة في حيفا، التي تَبعُدُ مسافةً كبيرة عن حدود لبنان، انخفاضًا بنسبة ٩٠ بالمئة في أكتوبر العام ٢٠٢٤. قال أحد أصحاب المحلّات الصهيونية: «النّاس لا يخرجون إلى الشّوارع، والأوضاع في حيفا مُقلقة». وقد وصل الخوف بين المستوطنين إلى تل أبيب، وذلك بسبب اتّساع رقعة منطقة الاشتباك.

عزّزت قدرات حزب الله في استهداف كلّ أرجاء الأراضي المحتلّة خلال الأشهر الأخيرة مخاوفَ الكيان الصّهيوني. وهذه المرّة، بدل المئة ألف شخص الذين هُجّروا من المناطق في الشّمال، كان احتمال تهجير ملايين الأشخاص مطروحًا. كان الاستمرار في الحرب مؤدّيًا إلى بروز تهديد مفاده: سلب الأمن الحقيقي من كلّ نقطة في الكيان الصهيوني، وتشديد الخوف من تصاعد وتيرة الهجرة العكسيّة، واتّساع نطاقها.

في نيسان/أبريل الماضي، وبعد مهاجمة الكيان الصّهيوني القسم القنصلي في السفارة الإيرانيّة في العاصمة السوريّة دمشق، بادرت جمهوريّة إيران الإسلاميّة إلى إطلاق مئات الطائرات المسيّرة والصواريخ من الأراضي الإيرانيّة باتجاه الأراضي المحتلّة، كخطوة عقابيّة. وفي تقريرٍ له بشأن الأوضاع المضطربة التي عاشها الكيان بعد هذه العمليّة الناجحة لإيران، كتب رونن برغمن ذو الصّلة بالموساد، نقلًا عن مسؤولٍ صهيونيّ مُطّلع: «إذا نشرت وسائل الإعلام النقاشات الداخليّة للمسؤولين، سيهجم ٤ ملايين شخص على مطار بن غوريون من أجل الخروج من البلاد».

وهذه الحقائق تتعارض بشدّة مع إعلان نتنياهو تحقيق الانتصار. وهو الذي أشاد، خلال عرضه اتّفاق وقف إطلاق النّار، بـ«الإنجازات غير المسبوقة» للكيان الصهيوني خلال العام الفائت.

وقال قائد الثورة الإسلاميّة، الإمام السيّد علي الخامنئي، خلال لقاء مع التعبويّين، في معرض شرح سماحته انهزام الكيان الصهيوني: «قصفُ بيوت الناس ليس انتصارًا. لا يظنّنّ الحمقى أنّهم بقصفهم بيوت النّاس، والمستشفيات، وتجمّعات المدنيّين، حقّقوا النّصر. كلا! لا أحد في العالم يعدّ هذا انتصارًا. هذا ليس انتصارًا، وهذه ليست انتصارات. العدوّ لم ينتصر في غزّة، ولم ينتصر في لبنان، ولن يحقق العدوّ الانتصار في غزّة ولبنان».

عَكسَ رئيس بلدية مستوطنة "شلومي"، غابي نعمان، الخوفَ الذي أصاب الصهاينة، وقال في هذا الصّدد: «كلّ شيء عُرض علينا يُشير إلى أنّ الجولة القادمة من الحرب وشيكة، إن كان ذلك في غضون شهر، أو شهرين، أو عشرة أعوام». وأظهر استطلاعُ رأيٍ أجرته وسائل إعلام الكيان الصهيوني أنّ ٧٠ بالمئة من المستوطنين الذين يعيشون قرب الحدود مع لبنان؛ يعتزمون عدم العودة إلى منازلهم. تعود جذور فقدان الشعور بالأمن هذا إلى قضايا أعمق تتعلّق بالهويّة والانتماء. فعلى أحد جانبَي الحدود، تعود العائلات اللبنانيّة إلى أراضي أجدادها. وفي الجانب الآخر، هناك مستوطنون غير متجذّرين في هذه الأرض، وقد اغتصبوها بالقوّة من الفلسطينيّين.

عندما يقول نعمان: «لا يوجد في الوقت الرّاهن أيّ مُخطّط للعودة إلى المنازل»، فإنّ كلمة «المنزل» تحمل معاني مختلفة. بالنسبة إلى اللبنانيّين، هو حقٌّ، وإرثُ الأجيال المتعاقبة. لكن بالنّسبة إلى المستوطنين، هو مكانٌ لم يعد يوفّر لهم السّكينة والأمن، فهم سلبوه من الفلسطينيّين، وأفقدوهم مكان سكنهم.

وهذا هو المفهوم الذي يقول بشأنه إدوارد سعيد، المفكّر الفلسطيني البارز: «كنا شعبًا تمّ طرده من أرضه. كنا السكان الأصليين الذين تم إخراجهم من أجل إقامة دولة يهودية».

أظهرت قدرات حزب الله الصاروخية أنه قادر، متى أراد، على ضرب عمق الأراضي المحتلة بدقّة، الأمر الذي وضع حسابات الكيان الصهيوني أمام تحدٍّ كبير

بيروت..الشهيد محمد عفيف (الجزء الثامن)

الوفاق
د. محمد علي صنوبري

ستنشر «الوفاق» على عدة حلقات مشاهداتها الخاصة من بيروت كتبها لها الدكتور محمد علي صنوبري رئيس تحرير مركز الرؤية الجديدة للدراسات الاستراتيجية، وفيما يلي الجزء الثامن من هذه السلسلة:

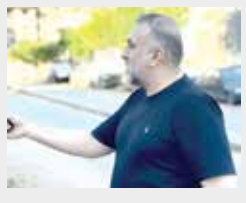

حادث سير:

ركبنا سيارة أجرة برفقة الأصدقاء وتوجهنا إلى منطقة سودكو لنواصل عملنا. كان من المقرر أن نجري مقابلة مع أحد المسؤولين الإعلاميين الكبار في حزب الله. اتصلنا عدة مرات بأحد الأصدقاء الذي كان يمثل حلقة الوصل، وفي كل مرة كانت المقابلة تُلغى لسبب ما، وكان أحد الأسباب الرئيسية لذلك هو الظروف الأمنية.

وقرب منطقة سودكو، سمعنا فجأة صوت انفجار هائل. كان الوقت بعد الظهر، وكان برفقتنا أحد المذيعين المشهورين في إحدى القنوات. نظر سريعاً إلى هاتفه المحمول وكرر بقلق مرتين: "بدون تحذير، بدون تحذير..." فسألت: هل تعني أنهم قصفوا بدون تحذير؟ قال: نعم! فسألت: لماذا؟ قال: هذا يعني أنها عملية اغتيال! فسادنا القلق.

يا إلهي! من الذي استشهد هذه المرة؟ هنا يجب أن أقول أن الكيان الصهيوني المتهالك عادةً ما يحذّر قبل دقائق من قصف المباني الخالية من السكان في منطقة الضاحية الجنوبية لبيروت، ويطلب من الناس الابتعاد عن المبنى المستهدف مع عرض خريطة فضائية للمبنى الهدف. لكن عندما يكون هدفه الاغتيال، فإنه يهاجم أي نقطة بدون سابق إنذار، ولا يهمه عدد المدنيين والأطفال والنساء الذين قد تتعرض حياتهم للخطر.

نعم، كان صوت الانفجار الرهيب يأتي من منطقة رأس النبع في بيروت. وبعد بضع دقائق، ادعت بعض وسائل الإعلام الداخلية للكيان أنهم اغتالوا الحاج محمد عفيف المسؤول الإعلامي لحزب الله. وكالعادة، دعونا الله أن تكون الأخبار كاذبة، لكن هذه المرة كانت الأخبار صحيحة، وبعد ١٠ دقائق فقط تم تأكيد الخبر. كنا لا نزال في زحمة المرور في منطقة سودكو، وكان صوت صفارات سيارات الإسعاف يتردد في المكان. كان هناك صمت حزين يسود السيارة؛ لقد غلبنا الصمت أنا والسائق ومذيع القناة الشهير، وصديقي السيد عزيزي، وكانت أعيننا قد امتلأت بالدموع. لم نصدق أن مسؤولاً إعلامياً يتواصل باستمرار مع الصحفيين ووسائل الإعلام يمكن أن يكون هدفاً للاعتداء الوحشي من قبل الصهاينة الإرهابيين.

وفيما كان الصمت يسود السيارة، فجأةً انكسر صمتنا بضربة قوية على السيارة ثم اهتزت بنا بقوة. لقد صدمت سيدة مسنّة سيارتنا بشدة من الجانب الأيمن بسيارتها، مما جعل كلا السيارتين تدوران عدة مرات في وسط التقاطع. وبعد أن تأكدنا أننا لم نتعرض لقصف صاروخي، نزلنا من السيارة وسط نظرات العشرات من الناس الذين كانوا مذهولين. ثم ترجلت السيدة المسنّة من سيارتها وتوجهت نحونا. الحمد لله أن الحادث لم يسفر عن إصابات بشرية، لكنه ألحق أضراراً مالية كبيرة. المثير للجدل هو أن السيدة المسنّة وسائق التاكسي تبادلا التحية بطريقة هادئة ومحترمة في البداية، ثم ارتفعت حدة النقاش قليلاً، وكان كل منهما يلقي باللوم على الآخر ويدعي أنه هو المخطئ. وبالنظر إلى نوع الحادث، كانت سيارة الأجرة قد تعرضت لأضرار كبيرة بينما كانت أضرار سيارة السيدة المسنّة أقل.

فدخلت في النقاش وقلت للسائق: أولاً أخبرني ما اسمك؟ قال: أنا قاسم. فقلت: قاسم أم الحاج قاسم؟ فابتسم (يعني أنه فهم أنني أعني بالحاج قاسم، شهيدنا العظيم) وقال: لا، أنا قاسم فقط، ورحم الله الحاج قاسم. فقلت: حبيبي قاسم! كم هي تكلفة إصلاح سيارتك؟ قال: على الأقل مئة دولار. فقلت له: سأعطيك المئة دولار، فارتسمت على وجهه الابتسامة وودع السيدة المسنّة دون تردد وركب السيارة.

شغلت الكاميرا وقلت: قاسم، حدثنا عن نفسك. قال: أنا من قرية تقع بالقرب من مدينة صور، دُمّر منزلي، وعائلتي تسكن في بيروت في إحدى المدارس؛ أي أننا نازحون.

فسألت: أين تقع المدرسة التي تقيم فيها عائلتك؟ قال: في منطقة الحمراء.

قلت: هل بوسعك أن تأخذنا إلى هناك؟ فقال: بالطبع، لكن أرجوكم لا تصوروا عائلتي. فقلت: نحن نصور الأشخاص الذين يسمحون لنا بذلك فقط، فلا تقلق حيال ذلك.

ثم تحدثنا مع قاسم لمدة نصف ساعة وأعطيناه المئة دولار وافترقنا. لكن قصتي مع قاسم لم تنتهِ هنا، بل أنه رافقني حتى آخر يوم في الرحلة.

يُتبع...